

الثلاثاء الماضي في قصر الاونيسكو. وفي المناسبة، تنشر «الأخبار» كلمتي رئيس مجلس النواب السابق حسين الحسيني والوزير السابق جان عبيد اللتين القيتا في الاحتفال

ورئيس استطاع تحديث الدولة اللبنانية والقيام بمشاريع كبيرة انمائية، إلى جانب الإصلاحات التي شهدتها عهده. وفي الذكرى التاسعة والعشرين لرحيل شهاب، أقامت «مؤسسة فؤاد شهاب» احتفالاً مساء

في انتظار الثورة المدنية

est decidement a l'envers: en Angleterre il ya «de la volonte en France il ya de l'intelligence أو بما معناه: «إن أوروبا هي بالتأكيد في وضع مقلوب: في بريطانيا هناك إرادة، في فرنسا هناك ذكاء». وانتظرت فرنسا حتى جاءها شارل ديغول وكوّن لها الإرادة من قلب المكونات والانقسامات. وما سعى إليه فؤاد شهاب عبر نضاله الطويل الشاق النبيل هو أن يرفع في لبنان ويصنع للبنان منسوباً أعلى من الإرادة الوطنية الواحدة لا منسوباً أعلى من الذكاء الفاضل فيه والذي هو نتاج الطبيعة والطباع والتمازج والتراكمات المتمادية المترامية عبر العصور.

بهذه الإرادة الوطنية الواحدة تُحمى الأوطان وتُصان الكرامات ويُحال دون حروب التفرقة والتقسيم في الداخل ومخططات الشذمة والتقاسم من الخارج.

هذه الإرادة الوطنية يحقّقها التواضع والتراحم والتساهل والإنصاف مع الأهل في داخل الوطن، لا التغطرس والتشدد مع الأهل ثم التنازل والتهاون مع الخارج سواء كان عدواً أو صديقاً أو شقيقاً. من لهذه الإرادة والقضية والقوة الآن؟ هذا هو السؤال الكبير في لبنان الآن، بل هذا هو التحدي الأكبر للبنان، بل لكل المحيط العربي.

وفي هذه الشخصية وهذه المسيرة، كثير من العدل والإنصاف، ومن الرفعة والوداعة والغنى في النفس والاستغناء عن خارجها. وفيها المثال والمثال.

رحم الله فؤاد شهاب الوفي التقى الأبّي، الغائب الكبير والحاضر الأكبر بالوفاء والعبر، وبالمثل والمثال. والسلام.

واضطربت الأفكار وزاغت الأبصار وتاهت البصائر ظلّ بارداً العقل هادئ الفكر، ثاقب البصر نافذ البصيرة مالك الحكمة ثابت الجنان عميق الإيمان. ما قبل أن يتهاوت أو يستسلم أمام الإغراق والاستغراق والإغراء في السلطة والمال.

ويوم حمل إليه النواب في أكثريةهم الساحقة عريضة المطالبة بالتجديد وتعديل الدستور حمى الدستور والكتاب من نفسه أولاً حتى يسهل ويصح عنده حمايته أمام الآخرين ومنهم. وكان في ذلك كله مثلاً في عفة النفس ومن ينبوعها تنساب عفة الكف والطرف واللسان، عاش ومات فاضلاً مكتفياً عزيزاً متواضعاً في رفعة قدره، في الطفولة والفتوة والشباب والكهولة والكبر. أمير في النفس والقلب قبل الإمرة، والإمارة في المحتد واللقب والحسب والنسب.

نبت في عائلته ونشأت في منطقتة، وعرفت القيادة وتعرّفت في الرئاسة إلى الكثير من هذه المدرسة الشهابية، وكان فؤاد شهاب لك، كما اعتزّزت وأعلنت مراراً وجهاً وبصدق وود: المثل والمثال. وأعطى الراحل الكبير لنا جميعاً هذه القدوة، وللكثير من القادة والحكام، وحتى في ما بعد لأحد عملاقي استقلال لبنان الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح.

وقد كان في قبول الرئيس بشارة الخوري بتعديل الدستور للتجديد، ما اعتري مسيرته ولوحته ببعض الضعف والشواثب والشحوب وهو العملاق المناضل الصلب المثقف المضيء المتحدر اللماح الأملعي العريق والعميق.

يقول رئيس حكومة فرنسا جورج كليمنصو في مذكراته عن أوائل القرن الماضي (L'Europe):



الرئيس الراحل فؤاد شهاب (أرشيف)

السراء والضراء، لا أعداء ولا أذلاء ولا غرباء. ما عاش ولا اغتنى ولا اعتز ولا اعتلى من وراء الفتنة والفرقة بين المسيحيين والمسيحيين، ولا بين المسلمين والمسلمين، ولا بين العرب والعرب. هو أيضاً صاحب كلمة وصاحب... وأهون أن تتزحزح الجبال من مكانها من أن يتزحزح هو عن كلمة أعطاهما أو صداقة اصطفاها. وهو كذلك يوم التهب العقول والقلوب

على سواه». فكان قليل الكلام كثير الالتزام، لأنه عندما يتكامل العقل والالتزام ينقص الكلام ويزيد الاحترام.

وكما يقول أمير البلاغة والجهاد الإمام علي: «من كثّر كلامه كثّر خطؤه، ومن كثّر خطؤه قلّ حياؤه ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار».

ما سعى وراء الضوضاء ولا الأضواء، لأنه اعتبر أن الضوء يخرج منه هو بدلاً من أن يخرج هو إليه. البسة الله مهابة الطلعة والطلّة وأكسبه بلاغة العمل والصمت في أن حاكم وحكيم وحكم في رئيس.

اختار الرصانة والسكينة على الاستهانة والمهانة وسلم بالقلّة على الذلّة، ورضي بالابتعاد عن الذنوب والمعاصي على الطلب المتكرر للتوبة والغفران.

ولأن الحفاظ على وحدة لبنان بالعدل والصبر والحزم والرفق أفضل وأجمل وأنبل من تقسيمها بالحروب والفتن، أثر الكلفة الأقل والمردود الأكثر، وابتعد عن التازيم والتقسيم والتفرقة.

ومارس في ذلك كله الحلم والأناة والصبر في عهده، وبعضها طبع وبعضها نعمة، وكلها فضائل وأفضال من نتاج علو الهمة وعمق الإيمان. بذلك انتصر بسيرته وعدالته على مناوئيه، وردّ بجلمه وصبره على المتجنّين عليه فضاعف المعترضين عليهم وأضعف المعارضين له. لقد رأى فؤاد شهاب في المسيحيين في هذا الشرق العربي جزءاً من ملحه وروحته وصلاحه وغناه.

وأراد المسيحيين، واللبنانيين كلهم لا جزءاً منهم فقط، أشقاء كرماء شركاء أصلاء في

أيها الحفل الكريم، أيها اللبنانيون، لسئت إلا مواطناً عادياً. ولست مسؤولاً إلا مسؤولية المواطن العادي.

لقد علمت وأخطأت. وجهلت وعرفت.

أقول لكم لا إصلاح إلا بثورة مدنية.

لا إصلاح، بل لا خلاص إلا بأن تقرروا مصيركم بانتخاب جمعية تأسيسية تمثل جميع اللبنانيين، بميثاق حضاري ودستوري. دولة مدنية.

جمعية تأسيسية تمثل جميع اللبنانيين لا الاغنياء وحسب، الاغنياء بمال الدول الأجنبية وبالمال العام المنهوب.

جمعية تأسيسية تكونون فيها شعباً، لا أقول واحداً، فليس لكم إلا ذلك، أو تكونوا أيتام الدول.

أيها اللبنانيون، أيها الشباب اللبناني، ارفضوا ما يُعدّ لكم من قانون انتخاب يمنعكم من أن تكونوا مواطنين أصحاب السلطة، أو مما يُعدّ لكم عبر المناورات للإبقاء على هذا القانون، الذي رأيتم نتائجه وترون نتائجه كل يوم.

أيها الحفل الكريم، لقد شرفني الحديث اليكم في ذكرى فؤاد شهاب. ولم أجد، وفاءً لتجربته في بناء الدولة، سوى الدعوة إلى ثورة يكون فيها اللبنانيون من كرام الناس.

الشرعية والحريات الأساسية. هل هذا هو الوضع اليوم في لبنان؟ وهل يملك اللبنانيون ترف الانتظار؟

اجابتي عن هذا السؤال انما تقع في دائرة ما سميتها الاتفاق على الاهداف والاختلاف في الوسائل.

والواقع اننا اليوم يفصلنا عن فؤاد شهاب وعمّا كان عليه الوضع الواقعي والدستوري الكثير. الكثير مما هو بالغ السوء والكثير مما فيه الأمل.

وفاء لتجربته ينبغي الدعوة إلى ثورة يكون فيها اللبنانيون من كرام الناس

الدستور اللبناني اليوم، أي إطار الشرعية والحريات الأساسية، انما يضم نصاً في مقدمته، يجعل من الشرعية ومن الحريات الأساسية نزاع الشرعية عن أي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك.

فمن الألف إلى الياء: «لا شرعية لأي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك».

اقتصادي حر سليم، يُتيح سبل العمل وتكافؤ الفرص للمواطنين، بحيث تتأمن للجميع الافادة من عطاءات الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية الحق. ان الاتصالات العديدة التي اجريتها والدراسات التي قمت بها عززت قناعاتي بأن البلاد ليست مهتأة بعد، ولا معدة لتقبل تحولات لا يمكنني تصوّر اعتمادها الا في اطار احترام الشرعية والحريات الأساسية التي طالما تمسكت بها».

أربع نقاط:

الاولى هي ان هذا الكلام ليس من كلامي، بل هو من كلام فؤاد شهاب. وهو كلام أتيناها.

الثانية وهي انه ليس في وصف اوضاع اللبنانيين في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، بل هو في وصف اوضاع اللبنانيين في مستهل العقد السابع من القرن العشرين. وهو وصف أتيناها.

الثالثة هي ان التحولات المطلوبة لا يمكن اعتمادها الا في اطار احترام الشرعية والحريات الأساسية. وهذا ما أوافق فيه في الامس البعيد وفي الامس القريب واليوم وفي الغد.

الرابعة وهي ان ما تقدم كان اسباب فؤاد شهاب للامتناع عن الترشح لرئاسة الدولة، لأن قناعته ان البلاد ليست مهتأة بعد ولا معدة لتقبل تحولات لا يمكنه تصوّر اعتمادها الا في اطار

انه عربي في كل الاحوال:

اذا المرء لم يدنس في اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الي حسن الثناء سبيل

تعبرنا أنا قليل عدينا

فقلت لها ان الكرام قليل

ولا زيادة مستزيد.

أيها الحفل الكريم، في ذكرى فؤاد شهاب اليوم، ما خلاصة القول في ما هي عليه أوضاع اللبنانيين سنة 2012؟

«إن المؤسسات السياسية اللبنانية والاصول التقليدية المتبعة في العمل السياسي، لم تعد، في اعتقادي، تشكل أداة صالحة للنهوض بلبنان (...) في جميع الميادين، وذلك ان مؤسساتنا التي تجاوزتها الانظمة الحديثة في كثير من النواحي سعياً وراء فعالية الحكم، وقوانيننا الانتخابية التي فرضتها احداث عابرة ومؤقتة، ونظامنا الاقتصادي الذي يسهل سوء تطبيقه قيام الاحتكارات، كل ذلك لا يفسح في المجال للقيام بعمل جدي على الصعيد الوطني، ان الغاية من هذا العمل الجدي هي الوصول الى تركيز ديموقراطية برلمانية اصيلة صحيحة ومستقرة، والى الغاء الاحتكارات لتتوفر العيش الكريم والحياة الفضلى للبنانيين في اطار نظام